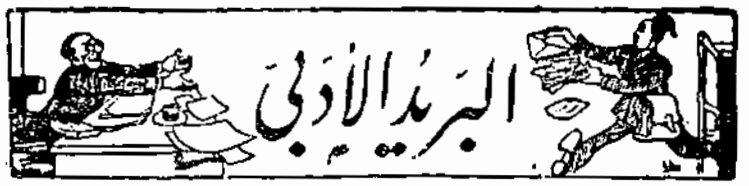

الرصافي يغضب ويتبرأ

فوجئت بالرد الذى نشره الأستاذ الرصافي وأنا بعيد عن القاهرة . وقد اتهمنا فيه (١) بأننا بدلنا أقواله (٢) ولم نكن أمناء فى نقلها (٣) وبأنه استنتج من ذلك أننا لم نقرأ التعليقات قراءة مستنيرة بل مررنا بها مروراً خاطفاً ، (٤) وبأن يداً خفية تحركنا (!!) (٥) وبأننا حاقدون عليه (٦) وبأننا نعرف آداب البحث والنقد والمناقشة لكننا ضربنا صفحاً عنها فى تناول تعليقاته لسبب لا يعرفه (٧) وبأننا خلطنا بين آراء الفلاسفة اليونانيين فى وحدة الوجود ، وآراء الزنادقة من متصوفة المشرق (٨) وبأن الغيرة الدينية هى التى أعمت بصائرنا عن الحق (٩) ثم ذكر أنه ليس متصوفاً ، وطلب إلينا أن نسأل الذين يعرفونه ليثبت لنا ذلك (١٠) وأنه لا يدعو إلى شيء كما هوّلنا نحن بذلك لدى العامة (!) (١١) ثم ذكر أننا نتجنى على المتصوفة حين نتهمهم بميلهم إلى اللذائذ الجنسية الحسيسة وتحللهم من الشرائع والقوانين والآداب العامة . . . إلى آخر هذا التخبط ونسود فنقول بأننا الآن بعيدون عن القاهرة ... فليست أعداد الرسالة التى سفهنا فيها تعليقات الأستاذ الجليل تحت أيدينا لنرى مقدار ما شوهنا أقواله ، ما دام هو لم يجرؤ أن يقدم لنا دليلاً واحداً على هذا التشويه . وليست رسائل التعليقات تحت أيدينا كذلك ، فقد أعطيناها لصديقنا الدكتور زكى مبارك ليرى فيها رأيه (وذلك منذ شهر تقريباً) ... ونحن نطمئن الأستاذ الرصافى على سلامة تفكير الجمهور من القراء فى مصر وفى العالم العربى ... لأنه جمهور لا يكتفى بأن يقال له إن كل ما ذكره دريني خشبة عن الأستاذ الجليل معروف الرصافى باطل ملفق ليصدق هذا القول ... ويسرنا أن نعترف للأستاذ الرصافى بأنه صحيح أن يداً خفية تحركنا للرد عليه . لأنها يد الله التى تمحق الباطل والمبطلين دائماً . الله الذى نتواضع فى الإيمان به هذا الإيمان الفطرى الساذج الذى لا يوقعنا فى لغو اللاغين وتناقض المتناقضين ، بعد أن بلونا من مثل ما يبلو أخونا الرصافى الآن ألواناً وألواناً ...

إلا أننى لا أستطيع أن أسكت ، حتى أعود إلى القاهرة بعد شهر إن شاء الله تعالى ، دون أن أعرض على العقلاء فى العالم الإسلامى كله جانباً من هذا الذى عاد الأستاذ الجليل معروف الرصافى فتحدث إلينا به فى رده المتهافت ، وذلك بخصوص استواء المتناقضات أمام الله لا أمام الناس :

لما كان الصوفية يقولون : كل ما وقع فى هذا الكون فهو حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور فى رسائل التعليقات ، تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير ، والضلال كالهدى . كلاهما حق ، لأنه واقع . ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل هو المحال الممتنع الوقوع ، ولكن هذا التساوى فى المتضادات إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلى ـ أى إلى ذات الله ـ لا بالنسبة إلينا ، فذات الله فى رأيهم لا يصدر عنها الباطل ، بل كل ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن كما هو مذكور فى رسائل التعليقات

... ... ولا بد أن الأستاذ خشبة قد قرأ كتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك واطلع على ما نقله عن الجيلى من أن الله هو الهادى وهو المضل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال ، كما أن المهتدى متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما هو مذكور فى رسائل التعليقات أيضاً ، وهذا صريح فى أن تساويهما إنما يكون أمام الله ، أى بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا »

فما رأى العقلاء فى العالم الإسلامى كله فى هذا ؟ !

لقد فزع الدكتور زكى مبارك (نفسه !) من الأخذ بهذا الضلال ، وفزع منه على الأخلاق والقوانين والشرائع ، فطمأنه الأستاذ الرصافى بأن التساوى إنما يكون أمام الله لا أمامنا نحن ،

أى بالنسبة إلى الله لا بالنسبة إلينا ... لأننا لا وجود لنا ، لأن الوجود الكلى المطلق هو الله ...

إن الأستاذ الرصافى يطلب إلينا تفسير الآيات التى استشهد بها المتخبطون على لغو هذا ، وهو يطلب إلينا ذلك ظاناً أنه يوقفنا أمام مشكل صوره له اضطرابه . ونحن نطمئنه ، لأننا سوف نعود إليه ، ... ثم نسأله هل ينكر أنه ينكر البعث كما يؤمن به المسلمون ، وأنه ينكر أن القرآن كلام الله ، بل هو كلام محمد ألقى فى روعه أنه يقوله بلسان الله ، وأنه لا معنى للعقاب والثواب والحساب إلا على الصور الخرافية التى زخرفها له وسواسه ، وأنه ينكر الأدعية ومنها الصلوات ، لأنها لن تغير من قوانين (الوجود الكلى المطلق شيئاً) ؟!

وبعد ... فهل صحيح أن الرصافى لم يدعنا إلى شىء ؟ ! هل نسى ما علق به على ذلك المستشرق الإيطالى الجاهل ؟ ألم يطلب إلينا أن نفيق ؟! نفيق مم يا ترى ؟!

وإلى عود قريب إن شاء الله ...

دمشق

إلى الأستاذ زكريا إبراهيم

ما هذا يا أخى ؟ لماذا قطعت حديثك عن وحدة الوجود بعد إذ بدأتها ؟ ماذا حدث ؟

د . خ

إلى الأستاذ الجليل الفشاشبى

ذكرت أيها الأستاذ الجليل فى العدد (٥٧٦) من الرسالة الغراء ضمن « نقل الأديب » التى لا يفى بمدحها لسان أو بيان قصة ابن يعيش حينما أخذ يشرح قول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا ... آ أنت أم أم سالم

فأطال القول فى ذلك ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، ولكن الفقيه الذى كان يقرأ عليه ويسمع منه سأله بعد كل ذلك : إيش فى هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فتندر عليه الشيخ قائلاً : تشبهها فى ذنبها وقرونها ! فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، ولم يعد إلى المجلس بعد ذلك ! هذا ولم تعلق على القصة بشىء ...

ولكن ما رأى الأستاذ الجليل حينما يعلم — وهو خير من علم ويعلم — أن ما ذكره الشيخ موفق الدين على سبيل التندر والانبساط قد ورد على سبيل الجد والنقد ، وأوخذ به ذو الرمة من جارية معاصرة له ، وقد أقر الشاعر لها بهذه المؤاخذة ، واحتال عليها بالمال كى تكتم هذا العيب ؟ ذكر ابن الجوزى فى كتابه « الأذكياء » ص ١٦٥ القصة التالية :

دخل ذو الرمة الكوفة ، فبينا هو يسير فى بعض شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار ، فاستحسنها ووقعت بقلبه ، فدنا إليها فقال : يا جارية ! اسقنى ماء ! فأخرجت إليه كوزاً فشرب ، فأراد أن يمازحها ويستدعى كلامها ، فقال : يا جارية ! ما أحر ماءك ! . فقالت : لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرّ مائى وبرده ، فقال لها : وأى شعرى له عيب ؟ فقالت : ألست ذا الرمة ؟ قال : بلى . قالت :

فأنت الذى شبهت عنزاً بقفرة
لها ذنب فوق استها أم سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها
وطبيين مسودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا بجلدك يا غيلان مثل المآتم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آ أنت أم أم سالم ؟!

قال : نشدتك بالله إلا أخذت راحلتى وما عليها ولم تظهرى هذا ؛ ونزل عن راحلته فدفعها إليها ، وذهب ليمضى فدفعتها إليه ، وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى !

هذه هى القصة ، فما رأى الأستاذ الجليل ؟ ...

أحمد الشرباصى
خريج كلية اللغة العربية